الخيبة أحيانا

قصة بقلم حسان منير

كانوا قد تجمعوا ، ولكن ليس كما اعتادوا كل ليلة ... فقد كانوا ضجرين . وجاء واحد وقال انه رأى « رجب » قادما . وتهلل وجه البعض ، ووجم البعض الاخر .

كانت هناك أرجل ممدودة باعياء وملل ... والاخرون تربعوا ، والباقون اسندوا ظهورهم الى الجدار ليريحوا ما فيها من ألم ممض . وكأن اجسادهم لم يعد فيها موضع لتعب آخر . وكانوا قد أتوا بعد ان دفنوا حفيد الحاج صبري ، وقد اختلط في وجوههم العرق بالرمال وطالت لحاهم .

وجاء قادمون جدد ، وحيوا الجالسين في فتور ... وكان الواحد منهم ما يكاد يجلس حتى يزحف ببصره نحو الحاج صبري . لقد دفنوا قبل ساعات حفيده الطفل ، وكان قد استشهد اثر غارة على القرية... ولكنهم كانوا يفاجأون بوجه هذا الشيخ ، فقد بدا متهللا رغم الحزن الذي حفر أخاديده . وقال احدهم :

« يا سلام ... لا يعلم شيئا عن ابنه محمد ، وقبل ساعات دفن حفيده ... ومع ذلك لا يظهر عليه الحزن » .

ومع ان كابوس الغارة ما زال جاثما على هذه الجلسة ، الا انهم جلسوا مرتاحين .. ـ ولكنهم في الواقع ملوا ما راحت أفواههم تلوكه من اخبار تافهة ـ وتبادلوا نظرات متثائبة وكان في تثاؤبها تساؤل وقلق غامض ... ترى ما هو مصير محمد ؟ ... كان قد غادر القرية منذ شهرين ولم يعد .. وكان المفروض أنه سيشترك في عملية كبيرة ، لكن رفاقه عادوا بدونه ، وذكروا انه لم يشترك معهم ، وان السلطات ربما اعتقلته قبل ذلك ، فحالت دون اشتراكه . وقد سألوا عنه حتى ملوا السؤال . وجاءهم صوت رطب :

« السلام عليكم يا رجال ... »

وتحركت ألسنتهم وقد طال سكوتها :

« وعليكم السلام ... طال غيابك عنا يا شيخ ... من يوم ما لبست البزة الكاكي وأنت لا تسأل عنا » . وانسل رجب برقة وأدب ، وركع على ركبتيه ، وسلم عليهم جميعا وهو يقسم ان لا يتعبوا أنفسهم بالقيام .. واخيرا جلس ، بينما تنحى أناس واعتدل آخرون ، وامتدت أيد غليظة ، وتلاقت العيون والاسئلة على رجب ... وكان قد تربع ووضع قبضتيه متلاصقتين في حجره .

كانوا يودون سؤاله مثلا عن محمد ، اذ انه أكثر الناس اطلاعا بحكم عمله ... انهم لا يعرفون حتى نوع وظيفته . كل ما يعرفونه انه موظف له رتبة عسكرية ، ومتنفذ .

وكانوا يودون سؤاله : أين كان ؟ طيلة هذه المدة ؟ ... ، ولكنه في كل مرة كان يجيبهم باقتضاب ، وبفوقية ، موحيا لهم ان عمله من الاهمية ، بحيث لا يجوز التحدث عنه .

ولكن السكون الذي قطعه قدوم رجب لم يدم طويلا ، اذ سرعان ما رفع رجب رأسه وحدق في الحاج صبري ثم قال :

« بالنسبة لمحمد .. ابنك ، يا عم صبري » .

فقاطعه الحاج صبري :

« لا تسألني عن ابني محمد ، لاني لا اعرف شيئا عنه ... ولو كنت اعرف مكانه ، لتولى هو بنفسه دفن طفله ... لكنه لا يعلم حتى الان ان طفله مات » .

وقال رجب :

« يسلم رأسك يا عم صبري .. الواقع اني ... » .

وقاطعه الحاج صبري ثانية :

« قلت لا أعرف ... » .

وتمتم رجب :

« لقد أتيت فعلا لـ ...

وصاح الحاج صبري بهزء :

« اعرف انك أتيت ... » .

واخرج رجب من جيبه لفة صغيرة ، وهمس بنزق وعصبية .. :

« يا الهي ماذا أقول لك ؟ ... انني أحمل لك .. »

والتفت الحاج صبري الى الموجودين :

« يريد أن يعرف اين ولدي محمد » .

وهز رأسه في يأس ، ووسع ابتسامته قدر ما استطاع . وتلفت حوله ، وهو يدير رقبته في استسلام وكأنه أمام معضلة لا حل لها ... واحتد قليلا فجأة .

ـ ماذا تحمل الي ؟ ... الكلمات ؟ .. كلمات أخرى ..؟.. آمال أخرى ..؟.. أقول لك ان الطفل مات ... وأبوه نفسه لم يعلم بموته .... والان ، ماذا تحمل الي ؟ ... تعازي رسمية .. ؟

وسرعان ما مسح عجوز منهم دمعة عن عينه ثم قال بصوت ضعيف :

« صبرك ... صبرك يا حاج ... بكره يرجع محمد ، ويخلف صبيان ... ايه يا رجب ، خير انشاء الله ..؟ »

عاشق من فلسطين

لشاعر المقاومة
في الارض المحتلة

محمود درويش

صدر حديثا .٢٥ ق. ل

وازداد رجب حرجا :

ـ أؤكد لك يا حاج صبري أنني متألم مثلك .... ثق بأنني وان كنت مرتديا بزة الدولة .. أصغ الي يا سيدي .. انني مكلف ...

ولكن الحاج صبري نهض فجأة وولاه ظهره ، واتجه بخطى بطيئة نحو الغرفة المجاورة ، لكنه توقف قليلا وركز بصره باتجاه رجب :

ـ تريد أن تسألني اين محمد ... طيب ... يبدو ان في هذه البلد مجموعة بلاليع سرية .. وانها تتفرغ من أهلها ، عن طريق هذه البلاليع ... طبعا نحن لا نتحدث عن ذلك ... ربما من قبيل الحذر ، وربما لاننا ، لا نعرف وجه عدونا ... قالوا لي ان محمد معتقل ... ولكن .. من .. من هؤلاء الذين اعتقلوه ؟ ..... انني لا اعرفهم... اننا نسمعهم فقط .... بعد العاشرة ليلا نكون في بيوتنا ، والارض المحاذية لشبابيكنا تصبح لهم فقط ، ملكهم .. اما نحن فكأننا مزهرية ورد ، توضع على حافة النافذة في الشمس ، وتدخل الى البيت في الليل ، دون أن يؤخذ رأيها .... ولكن محمد ابني ، يبدو انه عارض ... محمد لا يقبل ان تكون افعاله موقتة على هذا الشكل ..

ـ ولكن يا حاج صبري .. انا خارج اللعبة تماما .. انا مجرد..

ـ ونحن خارج اللعبة ، ولكن كل ما فعله ابني ، انه شعر بالخجل .... لانه لم يفهم اللعبة .

ـ اية لعبة ؟ .. يا حاج انا اتكلم عن ...

ـ نعم .. انها نفس اللعبة يا ولدي ، يجب أن نفوز في لعبة نحن ممنوعون من خوضها .

ـ دعني اتكلم مرة واحدة دون ان تقاطعني .. أرجوك .. انني مكلف ..

ـ طبعا .. طبعا انت مكلف .. ها انا أقول لك ... ان ابني ما زال يفكر .. فكر انت الآخر .. ماذا يمنع ؟ ان ابني يبتلع الان كمية كبيرة من ماء مالح .. ومع الزمن سيصبح اقل تفكيرا .. هل جربت ان تغرق في البحر مرة ؟ ...

وهمس احد الموجودين في اذن رجب :

« عقله يخونه .... اسمع ؟ »

واحتد رجب :

ـ اية مهمة لعينة كلفت بها ؟ ... اسمع يا حاج .. لا بد ان انتهي من هذه المهمة ، انني احمل لك ..

ـ انتظر يا رجب ... انتظر حتى تهدأ الاحداث من نفسها ... سيعود محمد .. جئت لتقول انه في المعتقل .... حسنا .. أرأيت.. كيف انني صبور ؟ .. ان المعروف الذي يمكن أن تسديه الي ، هو أن تذهب وتقول لرؤسائك بأننا الصبر نفسه ... مع السلامة يا رجب.

وهم الحاج ان يدخل الغرفة ، لكن رجب تشبث به ... امسك بيده ، ثم استوقفه ثانية ... وبسرعة وضع اللفة امامه وهمس بارتباك .

« البقايا ..... اوكلوا لي أن اسلمك البقايا ... أرجوك يا حاج ، لا تحقد علي .. انا مجرد بزة رسمية ....

***

لم يفهم الحاج صبري شيئا ، ولكنه بدأ يفك اللفة ..... أما رجب ، فقد استخرج من جيبه دفترا صغيرا وقلما ... وبدأ بالتعداد ، متجنبا النظر الى الحاج : :

« حزام جلد ... نظارة طبية ... ربطة عنق كاكي ... ساعة يد ... هل العدد صحيح ..؟

والان .. وقع لي ، هنا يا حاج ..... هنا من فضلك .. »

دمشق

حسان منير

أُصُولُ الفِكرِ المَاركسِيّ

تأليف او غست كورنو

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

رحلة من داخل الفكر الماركسي وتأصيل للحركة الماركسية في الفكر الالماني قبل ماركس بدءا من الفلسفة العقلانية الى الحركة الرومانتية ثم وقفة كبيرة عند هيغل من حيث هو مصدر غنى للفكر الماركسي ثم وقفة كبيرة أخرى عند اليسار الهيغلي بصفة عامة ولودفيغ فيورباخ بصفة خاصة .. وهنا يهتم المؤلف بابراز فكرة الاغتراب عند كل من هيغل ثم موسى هس وفيورباخ ، وهي تلك الفكرة التي اثرت على ماركس الشاب وبحث في المكونات الفلسفية وتطوره الفكري حتى البيان الشيوعي بعد ان تكون رحلة الاصول قد استكملت ..

والمؤلف واحد من كبار المفكرين الماديين واستاذ للتاريخ الثقافي بجامعة همبولدت ببرلين .. وهو من اوائل من اهتموا بمشكلة الغربة عند ماركس وركز على مخطوطة ماركس الاقتصادية والفلسفية التي نشرت في الثلث الثاني من القرن العشرين وعدلت النظر الى كارل ماركس ..

الثمن ٣٠٠ ق. ل

صدر حديثا ـ عن دار « الاداب »